فـوبـيـا الـصـــورة.. فـوبـيـا الـفـكـرة

علي حسن الفواز

عصرنا هو عصر الشاشة، عصر البصريات التي تركض كالخيول، وربما هو عصر المتاهة أيضا، هذا التحديد يضعنا أمام التباس كبير وخطير، مثلما يضعنا عند غابة من الأسئلة المفارقة، تلك الأسئلة التي تلامس خوفنا من تلك الشاشة الكبيرة التي ترصدنا وتراقبنا وتتلصص علينا ونحن في أقصى لحظاتنا غيابا، مثلما تلامس حاجتنا للخروج من (ثقافة القلعة) الى ثقافة الساحة، قلعة الايديولوجيا والحكم والأبوة والوصايا، الى ساحة الحريات والمواطنة والحقوق المدنية..

الصورة والشاشة هما الهاجس الذي نرهن وعينا(الشقي)الى أزماته، إذاً كيف لنا أن نعيش هذا الهاجس دونما حساسية أو فوبيا؟ وكيف لنا أن نكون جزءا من هذا العالم الذي بات يصور كل شيء بدءاً من الجسد وصولا إلى الفكرة؟

قد تبدو هذه الأسئلة ملتبسة، لكنها عقلانية جدا، خاصة أن هذا العقل التداولي تضخمت(ديكارتياته) كثيراً، وأضحى يبحث عما وراء مناطقه الاستعمالية من سرائر وشفرات أكثر سرية..

لذا يجب الإقرار بأن لا أحد ينكر هيمنة سلطة الصورة على صناعتنا الثقافية، الإعلامية والأدبية، ولا يمكن لأحد أن يتجاوز نسقها التوصيلي الذي بات يختصر الكثير من السرود الطويلة..لكن هذه الصورة ستبقى وحدها باردة ومصنوعة بقصدية محددة، وتحت آليات إخضاع سياسي جعلتها جزءا من لعبة السلطة والإغواء والتخويف والتهويل وبعيدا عن التوصيف المهني ومحمولاته الافتراضية للرسالة الإعلامية والأدبية.

تاريخ صناعة الشاشة والصورة في ذاكرتنا البصرية هو تاريخ الآخر، لذا يحتاج هذا التاريخ إلى مراجعة جادة ومسؤولة لكي نجعل اشتغالاته بهموم التعاطي مع هذه الصورة جزءا مؤصلا في سيرورات الوعي الثقافي الجديد، خاصة أننا بتنا بحاجة الى إنتاج بواعث للخروج الكبير من مهيمنات(الكتل الكبرى)التي تركها العقل الهيغلي في ذاكرتنا الثقافية، مثلما هي الدعوة لإخراج ثقافة الكلمة من هسيس رسالتها الصوتية التي ظلت هي الحاضرة والضاغطة والمدوية، والتي أعطتها هذا الطغيان الافتراضي لادوار استثنائية جعلتها خاضعة لموجهات معززة لسياق بطولي للكلام/ الخطاب، وبعيدا عن أن تكون الصورة هي الغواية الأكثر أثراً في التمكين وفي مواجهة شروط الحداثة التي تأتي متأخرة دائما، بحكم عقدة الرهاب التي يعيشها صناع القرار إزاء الحداثة وفقها، وحيث يمكن أن تندرج لعبتها العميقة في التعبير عن حشد آخر يتجاوز تاريخ (الألعاب)القهرية والغوايات السياسية والإيديولوجية التي ظلت تهيمن على حسابات هذه الأجندة او تلك.

في إعلامنا العراقي المرئي الجديد باتت الصورة اكثر إثارة وأكثر إغواء، إذ أخذت هذه الصورة دور الصانع لنص المتعة، ولنص الذاكرة والسيرة والارخنة الكرنولوجية للأحداث، وهو ما جعل سلطتها بلا نسق، وبلا تاريخ، وحتى دورها السري التوثيقي كان دورا غير ممنهج، لكنه قصدي في أحسن حالاته لإنتاج صورة للرعب البصري ليكون نوعا من الاستعراض الغريب لفكرة العنف والقوة والتكفير والكراهية، فهي صورة افتراضية للتوصيل ولصنع رسالة أو رأي!! وهذا لاشك فيه، لكن أن تكون هذه الصناعة- كل حسب مرجعياته ومواقفه - منتقاة بدقة وبحرفنة ليست مهنية، وربما لغايات او شفرات أخرى فيها الكثير من السياسي والطائفي، فهذا أمر يحتاج إلى قراءة أكثر عمقا، ليس بفرض الرقابة او إعادة إنتاجها في ضوء إعادة إنتاج نكوصية للمركزيات، بقدر ما هو العمل على ضرورة التعاطي المسؤول والأخلاقي مع قيم مهنية- قيم الحداثة والتفاعلية- يمكن أن تحدد المسؤوليات والحقوق والآليات وحتى العقلنة، لأن رهاب الصورة وعشوائيتها بدأ الأقرب من التصنيع الرخيص والساذج، وربما توهم البعض من بقايا أصحاب الإيديولوجيات الشمولية بجعل هذه الصناعة جزءا من لعبة الدروب السرية أو المؤامرات الصغيرة. في العديد من القنوات العربية والعراقية ، وحتى القنوات أنصاف الفضائية!! نجد هذه الظاهرة شاخصة للعيان، والتي تمشي جريا على بعض ما تتداوله بعض القنوات (الموجهة) والتي لا همّ لها سوى استعادة فكرة(المنتصر القديم) وإثارة النعرات والصراعات من اجله، والإصرار على نقل الصورة المسيّسة والمعنفة ، التي تقول إن العراق العنفي بلا أمل وأنه سيعيش قرونه الوسطى خارج شروط لعبة المنتصر القديم.

الوعي بأهمية صناعة الشاشة بوصفها صناعة عابرة للوطنيات، تفترض وعيا إجرائيا لاكتساب مهارات صناعة صورة جاذبة لرسالة إعلامية تتجاوز النمط القديم، نمط الكتلة، والخطاب والشتيمة، الذي مازال البعض يحمله وصايا الكراهية والإصرار على تشويه الحالة العراقية وتحولاتها وحتى تداعياتها، والتعتيم على الكثير من الحقائق التي باتت ظاهرة رغم محدوديتها، و النزوع الى القصدية في نقل صور مضخمة لمشكلات موجودة وحقيقية، لكنها ليست وليدة اليوم، بقدر ما هي جزء من هموم قديمة متراكمة بسبب رداءة الوعي السلطوي والمؤسساتي الذي أنتج الحروب العبثية والحصارات القاسية، وسوء إدارة الشأن العام، وطبعا فإن الاكتفاء بنقل هذه الصورة وتكرارها بشكل سيئ يعني أن هناك مروقا عن وعي الشاشة والصورة بوصفهما خروجا إلى الساحة، والنكوص باتجاه سرديات الأجندات السياسية التي تتوهم بوضع هذه الصورة بمثابة الموقف الذي يرسل للعالم عن العراق، دونما إشارة إلى من هو المسؤول عن استمرار إنتاج هذه الصورة، ولا عن الأسباب التي مازال الإرهاب الأعمى والحسابات السياسية والطائفية الضيقة لبعض السياسيين وظواهر الفساد الإداري والمالي تسهم في تكريسها في واقعنا..

صحيح أن الحالة العراقية ليست مثالية، إذ أن حقائق التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي تفترض الكثير من التقاطعات والتجاذبات التي تحدّ من فاعلية التحول. وصحيح أن الجميع ليسوا عند شروع واحد، وعلى قلب واحد كما تقول أدبياتنا الشعبية،إذ أن هناك من القوى والأجندات مازالت تضع العراقيل أمام العملية السياسية وعملية بناء الاقتصاد العراقي وترميم الخرابات التي حدثت بفعل الاحتلال والإرهاب وسوء الإدارة، التي تسعى الى تقديم الصورة التي تعزز هذا الموقف او غيره.. مقابل كل هذا نجد أنفسنا أمام حقائق ينبغي للجميع أن يتكاشفوا بمسؤولية وأمانة، فإلى أين يذهب هؤلاء؟ وهل الأجندات المالية والمخابراتية والسياسية التي تدعمهم ستظل على إيقاع واحد، وأنها ستظل تفتح كنوزها لهذا(الفضائي)أو غيره دون حساب؟ وهل سيكون استشراء الخراب وبقاء الهموم والأحزان مريحا لضمائرهم وهم يتفرجون على أحزان أبناء جلدتهم؟

أظن أن هناك مشكلة أخلاقية قبل أن تكون مشكلة حسابات وسياسات، لأن صاحب الخطيئة لا يتورع من ارتكاب أية معصية او جريمة تعزز إحساسه بلذة السلوك العدواني، فضلا عن أن هؤلاء يتحدثون كثيرا بنوع من النفاق الغريب!! فهم متطرفون مع التطرف، وليبراليون مع الليبرالية وسلفيون مع أصحاب الخطاب السلفي، وقوميون مع أصحاب الفقه القومي. إن صناعة الواقع الجديد تبدأ من صناعة الأفكار والمواقف وتنتهي عند صناعة الصورة، واعتقد أن الذين يتوهمون أن صناعتهم ستكون هي الرابحة واهمون! لأن النتائج التي تكرس الحزن والخيبة ستصيب الجميع وستجعل كل الأسواق عاطلة والبضائع كاسدة، وبالتالي يخسر الجميع..

المالكي وعلاوي وما بينهما

معاذ عبد الرحيم

يبقى الحراك السياسي في البلاد يراوح في مكانه، فاذا ما تقدم القائمون على العملية السياسية في مسيرتهم خطوة لا يلبثون ان يتراجعوا خطوتين في وقت ينتظرهم بفارغ الصبر المواطنون الذين محضوهم تأييدهم علهم يصحون فيبادرون الى تحقيق ما وعدوا به من انجازات ومشاريع تحسن من حياتهم المعيشية وتقضي على البطالة المتفشية بينهم. ولو امعنا النظر للوقوف على اسباب هذه المراوحة والتلكؤ في الخطوات السياسية لوجدنا ان في مقدمتها، كما شخص النائب محمود عثمان، الخلاف الناشب بين قائمتي دولة القانون والعراقية، وبالذات الخلاف الشخصي بين زعيميهما نوري المالكي واياد علاوي، هذا الخلاف الذي طال أمده وتجاوز أروقة مجلس النواب وحكومة الشراكة الوطنية لينزل الى الشارع ويهدد امن المواطنين حيث وجد الارهابيون في هذا الخلاف مدعاة لمواصلة عملياتهم الارهابية. وكلما اشتدت الازمة وتعقدت الامور بين الطرفين قلنا "اشتدي ازمة تنفرجي" لكن سرعان ما تخيب امالنا وتتبدد على ارض وسماء العلاقات بين الرجلين. فما هو الحل والامر على ماهو عليه من الشد والجذب ؟ هل سيكون الحل على طريقة تبويس اللحى العربية المعروفة حيث لا تمضي ايام حتى يتحول الأمر من لقاء وبوس الى طعن بالخناجر في الظهور واحيانا في الوجوه؟

السبب الرئيس وراء هذا الخلاف المستديم هو كرسي الحكم ، فكل من الرجلين يعتقد انه الأولى من الآخر بالسلطة، ومن وجهة نظر المالكي كما يظهر للعيان ان على علاوي ان يرضى بما حصل عليه من مناصب وزارية ولينتظر المباراة القادمة وصناديق الاقتراع فهي الحكم والفيصل. اما علاوي فينطلق من موقفه الذي لا يتزحزح عنه من ان قائمته تفوقت على قائمة المالكي وانه اضافة الى ذلك يحوز رضا غالبية الدول العربية وكذلك اميركا ودول الاتحاد الاوروبي وانه تأسيسا على هذا كله فمن حقه تولي رئاسة الوزارة، وانه الاقدر على ادارة البلاد والوصول بسفينتها الى بر الامان والنهوض بالعراق الجديد. ومن المعروف لدى القاصي والداني ان الولايات المتحدة صديقة حميمة لكلا الطرفين، لكنها تميل احيانا الى علاوي وعندما عجزت عن اقناع المالكي بالتخلي عن منصب رئاسة الوزارة لصالح علاوي غضت النظر عن ذلك وراحت تعد طبخة جديدة على نار هادئة وسرعان ما اظهرت للوجود مجلس السياسات ليترأسه علاوي. وكان يدور في خلد اصحاب هذه الطبخة ان المالكي سيزدردها وان علاوي سيتبلغ بها مكرها لا بطلا. وجاء اجتماع اربيل برئاسة رئيس اقليم كردستان مسعود بارزاني ليؤشر موافقة كل الأطراف على هذا الحل، وعندما حان وقت ابرام المجلس ووضعه حيز التنفيذ اصطدم بصخرة صلدة وضعها المالكي ومؤيدوه، والسبب في ذلك ان علاوي يريد المجلس المذكور ان يتمتع بكامل صلاحيات السلطات الثلاث، فاعترضت كما هو معروف قائمة التحالف الوطني التي ارادته مجلسا استشاريا لاغير، وهذا ما اثار غضب اعضاء القائمة العراقية فهددوا بالانسحاب من العملية السياسية برمتها . وستبقى الولايات المتحدة تراوح مكانها في سفارتها التي هي اكبر سفارة على وجه الارض تصافح الرجلين ومن معهما تارة باليد اليمنى واخرى باليسرى، وربما ستكون زيارة المالكي الحالية الى واشنطن مفتاح الحل للمشكلة الحاصلة بين دولة القانون والقائمة العراقية التي طال امدها وتذكرنا بحرب داحس والغبراء. واذا ما فتشنا عن حل لهذه المعضلة التي ارقت الكثيرين فلا نجد افضل من تقديم موعد الانتخابات النيابية لتنبثق عنها حكومة اكثرية يمكن ان تنجح في ادارة البلاد بعد ان تعثرت كثيرا خطى حكومة الشراكة الوطنية.

على هامش الصراحة

■ إحسان شمران الياسري

السيد مالك الياسري.. وداعاً..

يوم الاثنين ٢٠١١/١٢/١٢ توقف قلبٌ نبض نحو تسعة عقود بحب العراق وأهل العراق.. وغرّد مع سرب الداعين لرفعة العراق وعلو شأنه.. توقف قلب السيد مالك الياسري، ورحل عن دنيانا التي أتعبته وأتعبها.. توقف القلب الذي آذاه أن يبكي من الناس الذين بكى من أجلهم.. هكذا رفع السيد مالك صوته إذ رأى الآمال تتبدد، والأحلام تنزوي.. ونزيف الدم بلا نهاية..

اليوم يأخذ الشعب العراقي عزاءه بشخصية وطنية واجتماعية ضخمة.. شخصية لن تتاح في كل زمان لمجتمع كثير التعقيد مثل الشعب العراقي.. فالسيد مالك الياسري من أوتاد الشعب العراقي الذي لا يمكن الاستعاضة عنه بشخص أو حزب أو حركة أو عقل. فلقد خسرت الوطنية الصادقة والعميقة شخصاً كان إلى جانبها منذ أن تفتحت عينيه على حب العراق وتشكّل عنده الوعي الذي نحن الآن نفتقده لدى الكثيرين..

ومنذ تفتحت عيني وبدأت أعي وأفهم كنت أجد الراحل في طليعة الذائدين عن القيم الكبيرة.. والشامخة.

كانت معاييره في تقييم السلطة والساسة واضحة، أولها خدمة الناس، وإتاحة خيرات العراق الوفيرة لهم.

كنت اسمعه يئن وهو يرى الجائع والعطشان.. كان يئن من الفاسدين والكاذبين.. كان شديد الوضوح في التعبير عن رأيه، ولم يتوقف عن ذلك حتى عندما كنا نتوسل أن يتساهل قليلا في التعبير عن آرائه ومواجهة الفاشلين والمنافقين والفاسدين..

كان صادقا، غني النفس والمحضر.. لم يتعال على الناس مهما كانت منزلتهم او ثقافتهم او ثرواتهم.. وكان من أكثر الذين يحترمون عقائد الناس، ويرفعون من شأن رموزهم، ويراعون طقوسهم ومعتقداتهم، مع انه دان في غير موضع استخدام الدين لخداع الناس وكسب الرزق.

لقد كان شجاعا في التعبير عن رأيه، وشجاعا في مواجهة الظلم، وشجاعا في التضحية براحته وصحته وماله.. وشكّل وجوده في محافظة واسط علامة كبيرة من الإشراق، ومن صيرورة الشخصية المنفردة التي يمكنها أن تكون الأنموذج للإنسان وعلامة للأصالة، في زمن عزت فيه الصور الكبيرة على التشكل والانبعاث..

كان فلاحا قريبا من الأرض ومن خيراتها، وكان خبيرا بها وبمكامن عطاياها.. وكان خبيرا بالناس.. يعرفهم.. ويعرف نقاط قوتهم وضعفهم.. ويعرف همومهم وبواعث سعادتهم.

ويوم تلوذ الناس بالخوف من الخوف.. كان هذا الرجل في طليعة المتصدين للمحنة.. فقد وقف غير ذي مرة بين مرامي البنادق، وعلى مرمى المتقاتلين يوم كان الجهل يدفع بالناس إلى الاقتتال.. فلقد استعانت به الأمة للمهام التي عجزت عن حلها السلطة والعشائر والوجهاء..

سيترك رحيل السيد مالك الياسري ذكرى جليلة في ذاكرتنا العراقية على طول العراق وعرضه.. فلقد عرفه أهل الجنوب مثلما عرفه أهل الغرب والشمال.. وأحبه أهل الموصل والكرد والدليم وأهل الاهوار.. فهو لم يكن رجل دين أو رجل سياسة.. كان عراقيا فاقترب منه العراقيون، وشكلوا معه وطنا جميلا كان يحلم أن يكون لهم..

تغمد الله السيد مالك بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته وجعل عاقبته خيراً على العراق والعراقيين..

كاريكاتير

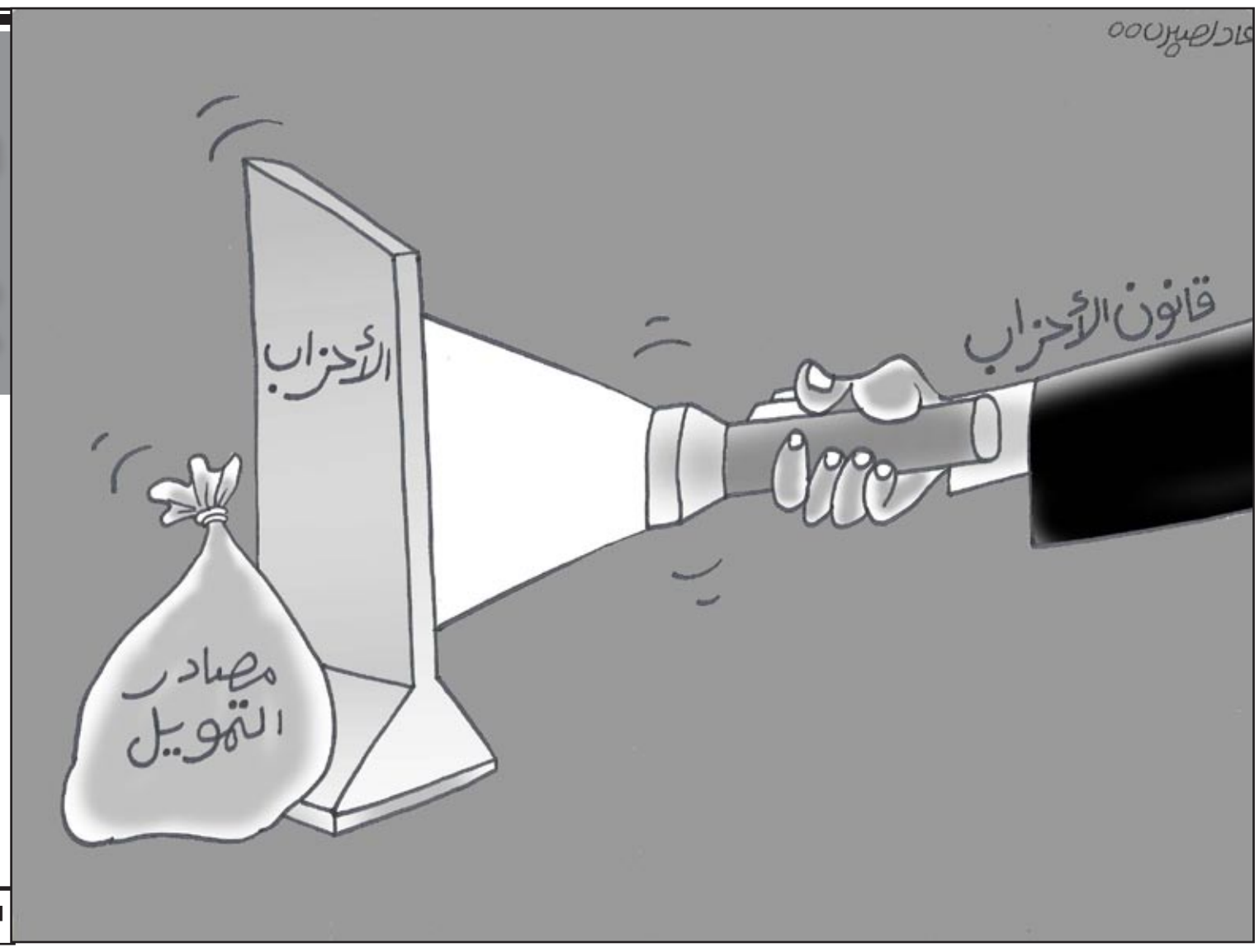

■ عادل صبري

حـقـوق الإنـســان والحـمـايـة الـقـانـونـيـة

محمد صادق جراد

يعاني الكثير من الشعوب في العالم انتهاكات كثيرة في حقوق الإنسان على مختلف المستويات الأمر الذي يجعل الحاجة قائمة إلى قوانين يتم من خلالها تسييس وتدويل مبادئ حقوق الإنسان لتكون هذه القوانين سلاحا للضغط على الأنظمة وعلى الجهات التي تمارس هذه الانتهاكات ضد الإنسان في كل مكان .

وعندما نطالع معظم ما جاء في الدساتير التي كتبها الإنسان على مدى العصور نجد ان هذه الدساتير لا تخلو من نصوص ومواد حقوق الإنسان والحرص على حمايتها من قبل الدولة إلا إن تلك النصوص ليست أكثر من مواد دستورية كتبت لتزيين تلك الدساتير ولم تمنع الأنظمة من ارتكاب الكثير من الانتهاكات بحق الحريات والحقوق ما جعلنا نشهد في العقود الأخيرة نشاطا ملحوظا للمنظمات المطالبة بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان وإيقاف التجاوزات التي يتعرض لها الإنسان على يد المتطرفين من السياسيين والقوميين والمتدينين في جميع بقاع الأرض .

وهناك حقيقة يجب ان نعترف بها وهي إن تطبيق تلك المواد والمبادئ يختلف من مجتمع الى آخر ومن دولة الى أخرى حسب المستوى الثقافي وحسب ظروف البلد السياسية والاجتماعية فتلك الانتهاكات تصل الى ذروتها في الدول التي تعيش مجتمعاتها في ظل حكومات دكتاتورية مشاكل طائفية وسط تواجد أفكار متطرفة تدعو للتصفية العرقية والطائفية . ولقد شهد الكثير من دول العالم ضريبة هذه الحروب وقدم آلاف الضحايا في انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان .

من اجل ذلك قامت الكثير من المنظمات المدنية ومنظمات حقوق الإنسان بالتحرك باتجاه توفير حماية قانونية لحقوق الإنسان توفرها المظلة الدولية لتتمكن من حماية المواطنين في كافة دول العالم ولقد جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نتيجة لهذه الجهود في العاشر من ديسمبر/١٩٤٨ في ٣٠ مادة عندما اقترحته بعض المنظمات والحكومات على الأمم المتحدة حيث اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة وأصدرته كأهم وثيقة دولية تهتم بحقوق الإنسان ، ويعد هذا الإعلان حدثا تاريخيا ونقطة تحول في تاريخ البشرية، ولقد طلبت الجمعية العامة من جميع الدول الأعضاء أن تدعو لنص الإعلان و"أن تعمل على نشره وتوزيعه وقراءته وشرحه، لاسيما في المؤسسات التربوية في محاولة لتوعية القاعدة الشعبية بالمفاهيم التي جاء بها الإعلان لحماية الحقوق الفردية والجماعية لكي يدرك المواطن بان له حقوقاً منتهكة ومغتصبة أهمها الحق في الحياة والحرية و الأمان والحق في التعبير، وحق تقرير المصير ولا بد له من المطالبة بها وان هذا الإعلان كوثيقة دولية سيساعده في هذا الأمر من خلال تدويل وتسييس مبادئ حقوق الإنسان وجعلها وسيلة وسلاح للضغط على الأنظمة التي تنتهك هذه الحقوق ..

ومن الجدير بالذكر ان المنظمات الدولية والدول الغربية قد مارست ضغوطات كبيرة على الدول التي تشهد انتهاكات لهذه الحقوق من اجل الالتزام بالوثيقة الدولية الجديدة .

ومن جانب آخر يجب أن نؤكد إن المطالبات بالالتزام بحقوق الإنسان من قبل المنظمات الدولية ومن قبل بعض الدول الغربية ليس بالضرورة أن تكون جميعها تحت عناوين إنسانية حقيقية فبعضها يأتي كمجرد وسائل للضغط والتشهير وربما المساومة مع الأنظمة التي لا تتماشى مع الرغبات الخارجية .

ولعل المتابع للشأن العراقي سيجد ان النظام الشمولي السابق قد مارس العديد من الانتهاكات بحق الشعب العراقي بمختلف مذاهبه وقومياته على مستوى الأفراد والجماعات وارتكب العديد من المجازر في هذا البلد والتي لاقت الصمت والتجاهل من المنظمات الدولية .

ومنذ بداية التجربة العراقية الجديدة نجد ان هناك الكثير من المحاولات الجادة لترسيخ هذه المفاهيم لدى الإنسان العراقي ،فبدأت معالم المجتمع المدني تظهر من خلال بروز منظمات المجتمع المدني كمؤسسات غير حكومية مهمتها توعية المجتمع لحقوقه وفضح أي انتهاك لحقوق الإنسان في هذا المجتمع ولقد نجحت هذه المنظمات في اداء دورها من خلال نشاطاتها الواضحة في حماية الإنسان العراقي والمطالبة بحقوقه عبر التظاهرات وعقد الندوات التثقيفية والتنويرية وبوادر أخرى ايجابية كلها تصب في اتجاه تقويم المسارات الديمقراطية والنهوض بمفاهيم حقوق الإنسان .